تاريخ الغرب الإسلامي — طلبة الأولى الماستير

العلاقات الثقافية

بين المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي

الفنون الشعبية والحرف — الأدب والمخطوطات — اللغة العربية

ق 3 – 5هـ	ق 7 – 9هـ	ق 10هـ
البدايات	الازدهار	التحولات

من الوساطة التجارية إلى التلاقح الحضاري الأصيل

فهرس المحاور الرئيسية

01 **التمهيد والإشكالية المنهجية**
مفهوم التلاقح الثقافي وحدود المصادر

02 **اللغة العربية قناةً ثقافية**
الانتشار، التكيّف، الازدواجية اللغوية

03 **الأدب والمخطوطات**
تمبكتو مركزاً علمياً وأدبياً

04 **العمارة والفنون التشكيلية**
المساجد، الزخارف، المنسوجات

05 **الموسيقى والفنون الأدائية**
التبادل الإيقاعي والشعر الغنائي

06 **الحِرف وفنون التزيين الشعبي**
المجوهرات، الجلود، الوشم والهندسة

07 **تحليل مقارن وإشكاليات التوثيق**
جدل التأثير والتبادل المتكافئ

08 **الخلاصة والتوجيهات البحثية**
مسارات البحث وأسئلة مفتوحة

المداخل النظرية في دراسة هذه العلاقات

الدراسات ما بعد الكولونيالية
(Post-Colonial Studies)

- ✓ تُعيد الاعتبار للفاعلية المحلية وتنتقد التمركز الأوروبي
- ⚠ خطر التطبيق القسري على حقبة ما قبل الاستعمار

نظام-نظرية العالم
(World-System Theory)

- ✓ تفسّر الأبعاد الاقتصادية للتبادل الثقافي
- ⚠ تختزل الثقافة في علاقة قوى مما يُفقرها

التاريخ المتصل
(Connected Histories)

- ✓ يكسر حدود المنطقة الواحدة ويقرأ التاريخ المشترك
- ⚠ خطر المبالغة في إبراز الصلات على حساب الخصوصية

نظرية التلاقح الثقافي
(Acculturation Theory)

- ✓ تفسّر الدمج والتكيّف المتبادل دون فرض التراتب
- ⚠ قد تتجاهل الاختلالات في القوة بين الثقافتين

المحور الأول :التمهيد والإشكالية المنهجية

التلاقح الثقافي (Acculturation)لا الاستيعاب الأحادي

العلاقات الثقافية بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي لم تُفرز ثقافةً واحدة تبتلع الأخرى، بل أنتجت نماذج هجينة تستحقّ دراستها في ذاتها لا بوصفها انحرافاً عن أصل

التحقيب الزمني

ثلاث مراحل متمايزة :تماسّ أوّلي، ازدهار، ثم تحوّل وتشظٍّ

السياق الجغرافي

الصحراء ممرٌّ لا حاجز — شبكة قوافل ناقلة للأفكار والأشياء

التأثير المتبادل

رفض الأحادية :كلا الطرفين مؤثِّر ومتأثِّر في آنٍ واحد

إشكالية المصادر

غلبة الرواية الشمالية العربية وشُحّ التوثيق المحلي السوداني المكتوب

02

اللغة العربية قناةً ثقافية :المحور الثاني

كانت العربية في بلاد السودان الغربي لغةَ الدين والإدارة والتجارة والعلم —ثلاثية اللسان :العربية الفصحى للكتابة، والعربية المحلية للتداول، والمانديك والسنغاي للحياة اليومية

الازدواجية اللغوية

- النخب الحاكمة :عربية للكتابة الرسمية
- العامة :لهجات محلية مع مفردات عربية
- الفصحى في الفقه والشعر :العلماء
- نموذج فريد للتعدد اللغوي الوظيفي

التكيّف والتهجين

- اقتراض مصطلحات حكم وإدارة
- ألفاظ تجارية ذات أصل عربي في المانديك
- رسم عربي للغة محلية :الكتابة بالعجمي
- سودانية مركّبة-ظهور أسماء أعلام عربية

الانتشار الجغرافي

- طرق التجارة الصحراوية ناقلاً رئيسياً
- تمبكتو —ودان —سجلماسة
- مدارس القرآن نقاط انتشار أولى
- أولى الوثائق العربية السودانية :م9القرن

ثورة ثقافية صامتة :الكتابة بالعجمي

تعريف:
العجمي هو توظيف الحروف العربية لكتابة لغات أفريقية محلية)الهوسا، الفولاني، الماندیك، الوولوف — (أي نقل نظام الكتابة مع الإبقاء على الأبنية اللغوية المحلية الأصيلة

1 الأهمية اللغوية

أثبت أن الأبجدية العربية قابلة للتكيّف مع بنى صوتية مغايرة —نموذج ناجح لتلاقح الأنظمة الكتابية

2 الأهمية الثقافية

مكّن الأدب الشفهي المحلي من التدوين دون التضحية بهويته —حفظ الشعر الغنائي والحِكَم والتاريخ المحلي

3 الأهمية السياسية

أفرز نخبة مزدوجة اللغة قادرة على التواصل مع الشمال وإدارة الشأن الداخلي بلغة أهله في آنٍ معاً

المحور الثالث :الأدب والمخطوطات

تمبكتو :من محطة تجارية إلى حاضرة فكرية أفريقية

180+

مدرسة قرآنية في تمبكتو في ذروة ازدهارها

25,000

طالب في مدارس تمبكتو عام 1450م

700,000+

مخطوطة لا تزال محفوظة في تمبكتو وجنني

أبرز الحقول الأدبية والمعرفية المشتركة

العلوم الطبيعية

الفلك، الحساب، الطب

التاريخ المحلي

تاريخ الفتاش، تاريخ السودان

الشعر العربي

مدح النبي، الرثاء، الفخر بالعلم

علوم القرآن

التجويد، التفسير، القراءات

الفقه المالكي

تبادل المتون والشروح عبر الصحراء

نموذج التفاعل الثقافي المعقّد — أحمد بابا التنبكتي

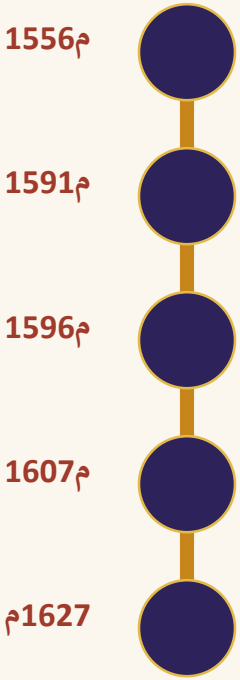

دلالات أكاديمية

- شاهدٌ على أن العلماء السودانيين كانوا معلّمين في المغرب لا مجرد متعلمين
- صاحب أطروحة في الرقّ تعكس حساسية ثقافية سودانية لا مغاربية
- كتاباته تحفل بمصادر سودانية مستقلة تؤكد استقلالية التقليد الأدبي المحلي
- نفيه القسري أفرز تبادلاً أكاديمياً غير مقصود بين المغرب والسودان

المحور الرابع :العمارة والفنون التشكيلية

حين أصبحت الصلصال أفريقياً يتكلم لغة الفضاء الإسلامي

العمارة المسجدية

أبو إسحاق الساحلي :أول ناقل للنموذج المعماري المغربي-الأندلسي إلى السودان

مسجد جنقري بري :الجدار الطيني وأعمدة الخشب — تلاقح تقني فريد

مئذنة جنني :النتوءات الخشبية (toron)دمج السودان تقنية الهيكل الإسلامي

المدارس القرآنية :نسخت المخطط المغربي مع مواد بناء أفريقية محلية

الزخرفة الهندسية :أنماط الأرابيسك التجريدي تأقلمت مع الإيقاع البصري المحلي

المنسوجات وفنون الحياة

قماش الكنته :تأثر بالنسيج المغاربي وطوّر أساليب محلية جديدة

الألوان الطبيعية :صبغ النيلة (indigo)مشترك بين الطوارق والسودان والمغرب

أنماط الطرز :الهندسة الإسلامية دمجت مع الرموز السودانية التقليدية

الجلود المزركشة :تقنيات الدباغة والتزيين تبادلت عبر القوافل التجارية

حصائر النخيل :أنماط العقد والجدل الهندسي حملت تأثيرات مغاربية

الموسيقى والفنون الأدائية :المحور الخامس

الموسيقى في بلاد السودان الغربي لم تكن مجرد ترفيه —كانت ذاكرةً جماعية وأداةً سياسية وطقساً دينياً .والتأثير المغاربي-الإسلامي فيها لم يلغِ هذه الوظائف بل أضاف إليها طبقات جديدة

فن الجيلي والغريوت

الجيلي (Jeli): حارس الذاكرة الجماعية ودمج المؤثرات الإسلامية الجديدة

الشعر الغنائي: الشعراء دمجوا اللغة العربية في قصائد اللغة الماندیك

مجالس القرآن: طرق إنشاد القرآن أفرزت أساليب صوتية محلية جديدة

الرثاء والمدح: أشكال الشعر العربي تأقلمت مع الشفهية السودانية

التبادل الموسيقي

الآلات المشتركة: العود العربي ← الكورا السودانية :تحوّل وظيفي وشكلي

التأثير الإيقاعي: الدف والرق المغاربي دمج مع الطبول السودانية

المقامات الصوتية: بعض المقامات الأندلسية أثّرت في الأغنية الغربية-السودانية

الإنشاد الديني: مدائح النبي انتقلت جنوباً بألحان ومقامات مغاربية

الحِرف وفنون التزيين الشعبي :المحور السادس

الخزف والفخار

- زخارف هندسية مستوحاة من الجمالية الإسلامية
- تقنيات التلوين انتقلت جنوباً
- الأواني ذات النقوش الهندسية تلاقح أسلوبي —

الهندسة الزخرفية

- نقوش الأرابيسك في الجلد والعظام
- النجمة الثمانية من المغرب تحوّلت رمزاً محلياً
- الزليج والفسيفساء ألهمت فن الوشم الجلدي

فن الخرز والتمائم

- الآيات القرآنية على قطع التمائم —جلدية
- دمج الأرقام والرموز الحرفية
- التميمة السودانية أعادت تشكيل فن الرقية

صياغة المجوهرات

- تقنيات الفضة المرصّعة مغاربية الأصل
- خرز التميمة يدمج الرمزية الإسلامية والمحلية
- الأساور النحاسية المحفورة بخط عربي

جسرٌ بين الثقافتين — الشعر الشعبي والمدائح النبوية

القصيدة المدحية

انتقلت قصائد مدح النبي كالبردة والهمزية من المغرب إلى السودان عبر الطريق الصوفية والمدارس القرآنية، فأُعيد إنشادها بألحان محلية وأُضيفت إليها توشيحات سودانية أصيلة.

الشعر الصوفي

نقلت أوراداً وقصائد من الشمال وأفرزت في السودان مدارس شعرية محلية جمعت بين الزهد (القادرية والتيجانية)الطرق الصوفية الإسلامي والإيقاع الأفريقي.

الشعر الشفهي المدوَّن

تدوين الشعر الشفهي بالعجمي مكّن الشعراء السودانيين من المزج بين أشكال البلاغة العربية)العروض، الإيقاع (وبنى اللغة المحلية — نموذج فريد في تاريخ الأدب الأفريقي.

ناقلاتٌ حضارية عابرة للصحراء :الطرق الصوفية

القادرية
(انتشار واسع من المغرب للسودان)

التيجانية
(مراكش ← السنغال ← نيجيريا)

الطريقة الصوفية

القصائد والأوراد
(نقل النصوص الدينية الأدبية)

المدارس والزوايا
(مراكز الثقافة والتعليم المشتركة)

شريان المعرفة — شبكة العلماء المتنقلين بين المغرب والسودان

تمبكتو — عاصمة التلاقح الثقافي الكبرى

700,000+
مخطوطة في خزائن عائلاتها

25,000
طالب من المغرب والأندلس والسودان

180+
مدرسة وزاوية في ذروة الازدهار

3
مساجد كبرى :جنكوي بري، سيدي يحيى، شمه

مرصد الفنون التطبيقية

بنيانها المتعرّج، مساجدها الطينية، خزائن مخطوطاتها المزركشة — كل قطعة فيها رواية عن تلاقح لم يكن مفروضاً بل مختاراً

مختبر اللغة والأدب

شهدت تمبكتو تجارب فريدة في دمج الفصاحة العربية مع البلاغة المحلية وأفرزت أجناساً أدبية لا نظير لها في التراث الإسلامي

ملتقى الطرق الثقافية

تقاطعت فيها ثلاث ثقافات :المغاربية الإسلامية، الأفريقية السودانية، والصحراوية الطوارقية —لتنتج نموذجاً حضارياً لا يشبه أياً منها بمفردها

ناقلو الثقافة عبر الصحراء :شبكة العلماء المتنقلين

1

أبو إسحاق الساحلي

غرناطة، الأندلس | ت1346 م.

بذرة الفن الإسلامي الأفريقي —مساجد جنكوي بري وغاو

2

محمد الكابري

م15ق | فاس، المغرب

تلامذته أسسوا التقليد الفقهي السوداني المستقل

3

عبد الرحمن السعدي

م1655-1594 | تمبكتو، السودان

نموذج لعالم سوداني يوثق بالعربية تاريخاً أفريقياً مستقلاً

4

أحمد بابا التنبكتي

م1627-1556 | أروان، السودان

رمز التلاقح العلمي المتكافئ بين المغرب والسودان

ثقافة اللباس والزينة والعادات الاجتماعية

الطب الشعبي والأعشاب

- المخطوطات الطبية من المغرب انتشرت في مكتبات تمبكتو
- الطب النبوي دمج مع المعرفة الطبية المحلية
- التمائم القرآنية أُدمجت في الممارسة العلاجية السودانية
- تبادل الأعشاب الطبية عبر القوافل أثرى الطب الشعبي

الأعراف الاجتماعية

- آداب استقبال الضيف المغاربية تأثرت بها مجالس السودان
- (حلقات الذكر والدرس)المجالس العلمية نموذج مشترك
- أسواق الجمعة في المدن السودانية مستوحاة من النمط المغاربي
- طقوس الزواج دمجت الاحتفالات الإسلامية مع التقاليد المحلية

اللباس والزي

- الجلباب والبرنوس المغاربي أدمج في الزي السوداني الرسمي
- اللثام الطوارقي المشترك بين الصحراء والسودان
- الملابس المطرزة بخيوط الذهب — نمط انتقل عبر القوافل
- التطريز الهندسي على الثوب :اجتماع الإسلامي والمحلي

التحليل المقارن وإشكاليات التوثيق :المحور السابع

المجال	طبيعة التبادل	الناتج الثقافي	ملاحظة نقدية
اللغة العربية	تكيّف محلي +تأثير مغاربي	الازدواجية اللغوية الوظيفية	التوثيق متحيّز شمالاً
الأدب والعلوم	تبادل متكافئ	تقليد علمي سوداني مستقل	شُحّ الرواية السودانية المكتوبة
العمارة والفنون	استيعاب ثم ابتكار محلي	إسلامية-مدرسة معمارية أفريقية	الطين السوداني أعاد تعريف الفضاء الإسلامي
الموسيقى والأداء	مزج إيقاعي ومقامي	إيقاعات هجينة لا مثيل لها	الأرشفة الصوتية ضعيفة تاريخياً

⚠ تحذير منهجي:

غلبة المصادر العربية الشمالية تعني أن كثيراً مما نعتقده »تأثيراً مغاربياً «قد يكون ابتكاراً سودانياً محلياً لم يحظَ بالتوثيق الكافي — التحيّز الأرشيفي ينبغي أن يكون ثاني الاعتبارات المنهجية.

قراءة نقدية :إشكاليات التوثيق والمصادر

01

هيمنة المصادر العربية الشمالية

كتبت معظم المصادر المتاحة رجالٌ مدرَّبون في التقليد المغاربي، مما يعني أن الرواية الثقافية تعكس نظرة الزائر لا المضيف —مخطوطات تمبكتو هي الاستثناء الأهم

02

الشفهية الأفريقية —الصمت الأرشيفي

الثقافة السودانية بنيتُها الأصيلة شفهية —الغريوت والراوي هما الأرشيف الحي .هذا لا يعني نقص الثقافة بل يعني أن أدواتنا الأكاديمية التقليدية عاجزة عن قياسها

03

مشكلة التأريخ والتحقيب

كثير من المظاهر الثقافية المشتركة يصعب تأريخها بدقة —هل كان التأثير المغاربي قبل الإسلام أم بعده؟ سؤال غالباً ما تعجز المصادر عن الإجابة عليه

04

إشكالية التأثير مقابل الاختراع المتوازي

التشابه بين ظاهرتين ثقافيتين لا يعني بالضرورة نقلاً من أحدهما للآخر —قد يكون استجابتين مستقلتين لشروط مشتركة .تمييز الحالتين يتطلب أدلة مادية ضحيحة

الخلاصة والتوجيهات البحثية :المحور الثامن

الاستنتاجات الرئيسية

1. العلاقة الثقافية كانت تبادلاً حضارياً لا انتقال حضارة
2. الصحراء ممرٌّ أفرز ثقافة تلاقح لا حدوداً للانفصال
3. تمبكتو نموذج أصيل للحضارة الإسلامية الأفريقية المستقلة
4. أبلغ دليل على الفاعلية الثقافية السودانية :العجمي
5. التوثيق المتحيّز شمالاً يستوجب قراءة نقدية منهجية
6. الطرق الصوفية الناقل الثقافي الأوسع تأثيراً وامتداداً

مسارات بحثية مقترحة

- دراسة مخطوطات تمبكتو الموسيقية غير المحققة
- حجمٌ ومسارات :معجم المفردات العربية في اللغات السودانية
- تحليل مقارن للعمارة الطينية في السودان والمغرب
- الأثر الأثري :الفنون التطبيقية وطرق التجارة
- الأبعاد الموسيقية للطرق الصوفية عبر الصحراء
- المنظور السوداني في تاريخ الفتاش :إعادة تقييم المصادر

الصحراء لم تفصل بين حضارتين —بل كانت في صميمها مختبراً كبيراً أجرت فيه البشرية تجربةً فريدة في التعايش والتبادل والابتكار المشترك، تجربةً ما زلنا نحتاج إلى أدوات أدق لفهمها والتعلم منها

النقاش مفتوح —شكراً

المصادر الأولية الكبرى: تاريخ السودان | تاريخ الفتاش | رحلة ابن بطوطة | مسالك الأبصار

مراجع حديثة: Levtzion | Hunwick | Saad | Gomez | De Moraes Farias